

حوارات

ماركسية لا تزال ممكنة!

حوار مع: البروفيسور: أندري توزيل

أجرت الحوار: ليلى تنسي.

صوفيا أنتي بولي التي أدت فيها أيضا البحث في تاريخ الأفكار.

2. انتميتم فيما بين 1962 و1965 إلى الحركة الكاثوليكية بينما تتخلون عنها في عام 1965. ما سبب هذه القطيعة ؟ ما الذي حدث ؟

أ.ت: على غرار كل شباب هذه الفترة شهدنا الكثير من التحولات الإيديولوجية، فقد كان العالم يتحرك وأنا معه. بالفعل كنت منخرطا في حركة العمل الكاثوليكي، وبالتحديد في "شباب الطلبة المسيحيين" إلى جانب "السكريتاريا الوطنية"، ولكن في حياة شباب مماثلة نتأثر بالعديد من اللقاءات ومن الأشخاص، لنبحث عن الأفضل والأنفع بالنسبة لنا. فقد كانت لدي فرصة أول لقاء مع ألتوسير في المدرسة العليا للمعلمين، وبفضل تأثيره تمكنت من الثقافة الصينية وثورتها، لأدرك بأن الماوية ميراث اليسار الشيوعي السوفياتي. لقد تمكنت حينها من التوجه نحو صورة جديدة من النضال

1. هل بإمكانكم أن تتحدثوا، عن مساركم الفكري، لنقدمه للجمهور الجزائري ؟

أ.ت: قبل كل شيء أشكركم على استقبالي وعلى منحي إمكانية مشاركة أفكارتي التي أذاع عنها للجمهور الجزائري، من خلالكم. أنا أستاذ امتياز في الفلسفة بجامعة نيس- صوفيا أنتي بولي (Nice-Sophia Antipolis). كان عليّ أن أدرّس في جامعة نيس ما بين 1967 و1988 بوصفي طالبا سابقا في المدرسة العليا للمعلمين، وبعد ذلك أشرفت على التدريس بجامعة بوزونسون (Besançon) ما بين 1988 و1995 حيث أسست وبفضل أشخاص آخرين مخبر البحث الفلسفي حول المنطق والفعل. بين 1995 و1998 قمت بالتدريس في جامعة باريس 1 سربون حيث أشرفت على إدارة مركز تاريخ أنساق الفكر الحديث وندوة حول تاريخ النزعة المادية. وقد عدت ما بين 1998 و2003 إلى جامعة نيس-

مع "حلقة اتحاد الشباب الشيوعي الماركس- لينيني"، ولاحقا شاركت في لجنة الفيتنام. كنت مهتما بالجزء الآسيوي من العالم، وأظن بأنني لم أكن الوحيد في ذلك، كما لم أتوقف عند هذا الحد، فقد ساهم لقاء آخر في تكويني الفكري، وهو لقاء إيريك فايل الذي سمح لي باكتشاف أنطونيو غرامشي، بحيث إن ما كان يشغلني هو هيمنة الثورة على الغرب، لأنخرط في النقابة الجامعية وأنتمي إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، غير أنه تبين بأن هناك سوء تفاهم بيني وبين بعض ممارسات الحكومة الداخلية للحزب الشيوعي الفرنسي بسبب عدم قدرتها في تصفية حساباتها مع النزعة الستالينية لتحصيل رؤية واضحة عن التحولات الثورية. ولهذا فقد كان عليّ التخلي عن الحزب الشيوعي في سنوات الثمانينيات.

3. ستشاركون في عام 2003 برأيكم، في جريدة لوموند، حول مفهوم العولمة، في الوقت الذي تلتزم الفلسفة الفرنسية الصمت نسبيا بهذا الصدد، خلال مقاربة العلوم الإنسانية لهذا سؤال بإطلاقه عبر مختلف التخصصات. ما سبب هذا الصمت؟

أنت: آه، لا، إنكم مخطئون. لم تصمت الفلسفة كلها بصدد العولمة. إنها تقاربها، مع ذلك، على المستوى القانوني والسياسي فيما يتعلق بكل أسئلة الهيمنة السياسية والكوسموبوليتية، فمن واجب الفلسفة تحديد ذلك. فإذا كانت العولمة هي تعميم نمط الإنتاج الرأسمالي، فإنها لا تتحدد أبدا بالبعد الاقتصادي بما أن كل الشركات الكبرى تركز بالضرورة على الثورة التكنولوجية التي هي الاتصال والتي هي بدورها صناعة مدهشة. يصبح هذا البعد ثقافيا إذا؛ ولكن بما أن السلعة- نقود قد أصبحت كذبة عالمية ورمزية، فإننا نلاحظ أشكال من الحياة مقلقة جدا يشعر فيها الأفراد باللامن المرعب، وهو ما يدفعهم للجوء إلى التجمعات المخيالية.

4. ولكن يلاحظ في ذلك عنفا! فهل نحن أمام فصام تسببت فيه العولمة ؟

أنت: نعم، ممكن للأسف، نحن أمام هذا الواقع الذي يعبر عن العنف المدعى على عنف رأسمال الشهير من العنف عن طريق غمر الإنتاج في الاستهلاك. وفي هذا المستوى تحضر الفلسفة، لساءلة حالة الحرية الفردية في هذا العالم. إن العنف الرأسمالي "هوة" كما أشرت إليه في كتابي "عالم في هوة"، "تميع" للإنساني

ولا يمكن للفلسفة أن تغيب في مقابل ذلك. بل إنه موضوع تساؤلها نفسه.

5. هناك انطباع بأنه يوجد نوع من النزوع إلى "جوريس" في قراءتكم الإنسانية أم أنني مخطئة؟

أنت: لا، هذه المرة لم تخطئوا، بل إن حدسكم صحيح جدا. لقد كنت شغوفًا بكتابات جوريس، وما بقي لي هو أحد أشكال الصراع ضد العنف الاجتماعي في إطار الصالح العام، وحدة عليا، لم تتحقق بعد إلى الوجود، وهي مجرد مشروع يستهدف إعادة- تمدين المجتمع.

6. من خلال تصفح كتبكم، يحدث لدينا انطباع بأنكم لم تتوقفوا عن النضال لتحقيق نهضة الماركسية منذ سنوات الثمانينيات، فهناك "براكسيس. نحو التأسيس في الفلسفة الماركسية" مع المنشورات الاجتماعية. نلاحظ تواصل أبحاثكم أيضا في "روح الانشقاق. دراسات حول ماركس، غرامشي ولوكاتش" كما في "دراسات حول ماركس وإنجلز. نحو شيوعية التناهي". إنكم تعملون على تقاطع كل هذا مع تأملاتكم المستمرة حول تاريخ الماركسيات في كتابكم "تاريخ الفلسفة" الصادر عن مكتبة الكوكبة (Pléiade)، إلى غاية "قاموس ماركس المعاصر". يتعمق

هذا البحث بما يلحقه حول الماركسية الإيطالية مع لابرولا وغرامشي في "ماركس بالخط المائل"، للانتهاء مع "ماركسية القرن العشرين" لدى سيليبس. فهل يمكن القول بأن هناك إمكان للماركسية اليوم في مقابل هذه العولمة الرأسمالية؟

أنت: حينما تُخضع عولمة رأسمالية افتراضية ما نساء ورجالا لمهام رأسمال، فإنها قد تكون قاتلة. إنها ليست سوى فترة من العولمة المتأصلة في صورة الإنتاج الرأسمالي منذ ظهوره في نهاية القرن الخامس عشر؛ غير أنها تنجز منعطفًا. هل تذكرون اكتشاف العوالم الجديدة للحملات البحرية والرحلات التجارية في الأمريكيتين وفي آسيا وإفريقيا، إلى جانب اختراع العبودية الحديثة في المزارع والمناجم، العنف المسلط على هنود أمريكا، إنها مماثلة جديدة للإنسان بحالة العبودية باسم العمل. ففي القرن التاسع عشر، سيعرف هذا الشكل من العولمة مرحلة ثانية مع ارتفاع التصنيع والتكنولوجيا. إذ سيؤيد الدول القومية التي لديها لغة القومية كلغة أساسية. كونية تساند بروليتاريا تنتظمها غير أن ثمن نجاح هذه الأخيرة سيتم دفعه غاليا.

لنلاحظ أشكال أخرى من اللامعالية الاجتماعية: هجرات الفقر تجول من قارة إلى أخرى واستعمارات تنظر إلى المستعمرات بوصفها بريرا. يمكننا أن نجوب التاريخ، وسيكون انعدام الأمن منتشرا عبره وبكل أشكاله، لنجد أنفسنا دوما أمام أشخاص يحيون في الهذيان الذي أردفه بـ"هذيان هادئ بكل قدراته" وسيكون لدينا من جهة أخرى من العالم، أفرادا آخرون مجردين من العالم، مغتربين، مهددين بالتسريح في كل لحظة. ثورتهم ممنوعة عليهم أو محدودة بشرعية قانونية لأجل معاقبة عجزهم. تبحث هذه الكائنات التائهة عن ملاذ في تجمعات تمنحها مكانا ولكنها قد تكون أيضا ضحية للكراهية الجمعية. تصبح هذه الإقصاءات وصمات عار، إذ بإمكانها أن تتشكل في هويات مخيالية لتحمي نفسها، وعليه لعل التصرف المطلوب يكون سياسيا. إنها تركز على اختراع أشكال جديدة من الحياة. فلا يمكن أن تأتي المبادرة إلا لحركات التكتل، فينبغي على ضحايا الرأسمالية اليوم أن يشغلوا أماكنهم تماما باختيار المقاومة، وهو ما يعني أنه يجب إعادة صياغة التحرر، وهي الفكرة الماركسية وحتى الشيوعية بطبيعة الحال.

7. سؤال أخير، بروفيسور، كيف يمكننا، اليوم، التفكير مع ماركس؟
أنت: ما ينبغي معرفته هو أن ماركس لا ينتمي إلى أحد. فهو ليس أبدا احتكار الحركات السياسية التي عرفها تاريخ الشيوعية، ولأجل هذا، ينبغي منع عرقلة دراسته، فعلى الرغم من أنه يندرج في الكلاسيكيات إلا أنه راهني جدا، فقد أعاد ماركس اعتبار الإنسان باكتشافه لنقد الرأسمالية، وبالتالي يمكننا اليوم القول بأنه يمكننا دراسة ماركس مع ماركس ضد ماركس. ذلك هو شعارنا.

ترجمه: د. فؤاد اسمي مراد.